تربية

جورج شاهين

عازوري: الإنتحار ليس عيبًا ولا عارًا مواجهته ليس بدروس أخلاقيّة بل فهم أسبابه

القى مسلسل الانتحار الذي شهده لبنان في الاسابيع الماضية بثقله المعنوي والنفسي على اللبنانيين، وقدم صورة خطيرة عن حجم اليأس الذي عبر الى قلوب وعقول مَن وضعوا حدا لحياتهم مهما اختلفت الاسباب والظروف التي قادت اليه. لكن الاخطر هو فقدان وسائل المواجهة مع هذه الحالات، عبر تنامي المشكلات التي عمت حياتهم

لالقاء الضوء على ظاهرة الانتحار واسبابها وكيفية الحد منها، التقت "الامن العام" الطبيب والمحلل النفسي الدكتور شوقي عازوري الذي اكد ان الانتحار ليس جرما ولا عيبا، وان التعاطي معه لا يتم بالدروس الاخلاقية بل بفهم معاناة المعرضين.

■ صدم اللبنانيون بمسلسل حوادث الانتحار المتعددة، فهل هي ظاهرة جديدة تستثير المخاوف التي عبّر عنها البعض؟

□ ليست ظاهرة طبيعية بقدر ما هي حالات مرتبطة بظروف مختلفة، وقد سبق قبل 3 او 4 سنوات ان اقدم رجل على الانتحار بعدما لم تتوافر في جيبه الف ليرة لشراء منقوشة زعتر لابنته. الاوضاع العامة والظروف المادية التي يعيشها اللبنانيون يمكن ان تؤدي الى الانتحار، وان تتحول وسيلة للخروج من الواقع، اذ لم يعد كثر قادرين على تحمل الضغوط التي يتعرضون لها. وعليه، من الطبيعي ان نتفهم كل ما يدفع البعض الى الانتحار.

■ تتنوع القراءات حول اسباب الانتحار، فيقال انها نتيجة ارتفاع الضغوط الاقتصادية والاجتماعية وربما العاطفية التي تنعكس على الصحة النفسية؟

□ صحيحة هذه الملاحظات ودقيقة، وهي تقودنا الى تصنيف حالات الانتحار الى ثلاث: الاولى، عرفت بـ"انتحار الشرف" وهي ظاهرة يابانية قبل ان تشهد مثيلات لها دول اخرى، وقد سجلت الحرب العالمية الثانية اولى الحالات. فعندما كان الطيار الياباني الذي يغير على موقع معاد، يفتقد الى الذخيرة الكافية لاستخدام سلاحه، كان يهاجم هدفه بطائرته حفاظا على شرفه العسكري وقد عرفت بظاهرة "الكاميكاز".

الثانية، عرفت بسبب الكآبة التي تدفع الى الانتحار. وهو نوع يقود الى الانهيار العصبي ويتسبب بنوع من الكابة المفرطة تقود المصاب الى الانتحار ما لم يتوافر العلاج الطبي.

الثالثة، تكمن في حالات لها اسباب متعددة تقود الانسان الى مرحلة تسد بوجهه الابواب ولا يستطيع التوصل الى الوسيلة التي تخرجه من ازمته.

■ اسباب الانتحار متداخلة غير ان معظمها مرتبط باضطرابات نفسية تلي حالات مادية او عاطفية، كيف يمكن تجنبها؟

□ لا يمكننا القول ان اسباب الانتحار محصورة بالاسباب المادية او العاطفية او الشخصية، ومن الحرام حصرها بهذه العوامل فقط لنعطي "كارت بلانش" للوضع الذي نعيشه في لبنان. فمن ينتحر ليس بالضرورة انه مريض ولديه اضطرابات عاطفية ونفسية بقدر ما يجب ان نحتسب الظروف التي يعيشها اللبنانيون. الاحصاءات تقول ان 80% من اللبنانيين باتوا تحت خط الفقر، فماذا يعني القول ان مدخول الفرد لا يتعدى دولارا واحدا في النهار، وهو المعدل العالمي لتحديد نسبة الفقر. لا يمكنني سوى التذكير بالوالد الذي انتحر عندما لم تتوافر بين يديه الف ليرة لشراء منقوشة لابنته. ليضع اي انسان نفسه مكانه، الا يشعر بالصدمة عينها التي قادته الى فعلته. الرجل في نظامنا العائلي هو مصدر الرزق ومورد المال لعائلته، وليس كما في اوروبا او اميركا حيث تشعر المرأة بمسؤولية الرجل نفسها لتمويل المنزل ومصروفه. في كل الحالات، لا ننسى انها حالة تمس الرجل في رجولته.

■ الى اي مدى تعتقد ان لبنان مهيأ لمواجهة هذه الحالات وهل من مؤسسات يمكن ان تردع عن القيام بمثل هذه الممارسات؟

□ ليس من السهل ان نتمنى او نطلب من احدا هذه المهمة، فاسباب الانتحار متعددة ومنها الحالات التي نعيشها. كانت لدينا مؤسسات تهتم ببعض الحالات ان تم رصدها مسبقا، وكان هناك خط ساخن سمي "سوشيل اس او اس" وقد استخدمه اشخاص عاشوا الكابة وارادوا الاستشارة في اللحظات الاخيرة قبل الانتحار. لقد ساهم معالجون نفسيون في تقديم النصح لهم، فهم مدربون على هذه المهمة. وكان ممنوع عليهم ان يعطوا الانسان المريض دروسا اخلاقية او دينية تدين الانتحار، وكان عليهم ان يسمعوا معاناته من دون "فلسفة" لعلهم يقودونه الى اكتشاف طريق اخرى للخروج من حالته غير الانتحار. اما اليوم، ما هي قدراتنا لمعالجة انسان يعاني الفقر، وهو لا يستطيع توفير حبة دواء او لقمة عيش كريمة، وقد وصلنا الى طريق مسدود في معالجة هذه الحالات نتيجة الانهيار المالي والاقتصادي، والخير لقدام بعدما تجاوز الدولار المئة الف ليرة، فكيف يمكن لذوي الدخل المحدود والمعدمين ان يوفروا طعامهم. انه المستوى المأساوي الذي وصلنا اليه، ولا يبدو ان هناك حلا سياسيا ولا اقتصاديا ولم تتوافر بعد القدرة على معالجة اوضاع الناس اليومية. ما اخشاه ان تؤدي هذه الاوضاع الى حالات انتحار اضافية في المستقبل.

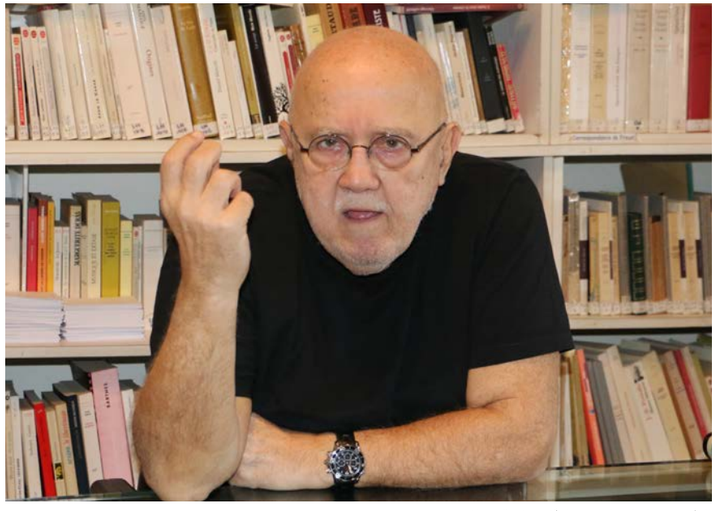

الطبيب والمحلل النفسي الدكتور شوقي عازوري.

■ ما هي النصائح التي يمكن اسداؤها الى اهالي الضحية، كيف يمكن تجاوز الصدمة وما هي حدود مسؤولياتهم؟

□ مَن يريد الانتحار لن يبلغ احد مسبقا بقراره، وما يمكن فعله ان يتدخل الاهل اذا شعروا ان احدا من بينهم قد بلغ مرحلة متقدمة من اليأس الذي يمكن ان يقوده الى الانتحار ليكونوا داعمين له. فالمرأة التي لا تعمل يجب ان تعمل الى جانب زوجها لتعزيز موارد العائلة ايا تكن قدراتها، وان تعيد النظر بمشترياتها وتطبخ ما خفت كلفته. اذا لاحظ الاهل ان ايا من افراد عائلتهم قصد غريبا للاستدانة مثلا، عليهم ان يكونوا الى جانبه من دون اعطائه دروسا اخلاقية ومرافقته بالدعم المادي والمعنوي لئلا يقع مثلا في ايدي المرابين.

■ وفق الدولية للمعلومات، ان حوادث الانتحار تراجعت عام 2022 مقارنة بـ2021، بحيث وصل متوسط حوادث الانتحار خلال الاعوام 2013 - 2022 الى 143 حادثة. ما هي قراءتكم لهذه الارقام وهل يمكن الافادة منها لتقليص الحالات المتوقعة؟

□ المقارنات بين عام وآخر لا تعني شيئا، فما معنى ان تزيد او تنقص حالات الانتحار بين اعوام 2019 و2020 و2021 وماذا يعني اذا انتحر 200 شخص بدلا من 180؟ الاخطر اننا على قناعة بأن عدد حالات الانتحار الى ازدياد ولن يتراجع اذا بقي الوضع على ما هو عليه وهو امر مؤسف بكل المعايير. لا تقع المسؤولية هنا على الاهل، بل على الدولة التي وجدت لمعالجة اوضاع ابنائها ورعايتهم. هي المسؤولة عن مرض الانسان من كل النواحي القانونية، وبسبب ادائها ينتحر مواطن من مواطنيها.

> **حصر اسباب الانتحار بالمادية او العاطفية "كارت بلانش" لما نعيشه في لبنان**

■ عدد حالات الانتحار خلال شهري كانون الثاني وشباط الماضيين بلغ 21 حالة والعام ما زال في بدايته، الى ما يؤشر هذا الرقم؟

□ انه رقم يعني الكثير ويؤكد ما نتوقعه. ان العودة الى المقارنة بين ارقام كانون 2022 وكانون 2023 تشير الى انه لا يوجد فارق كبير وهو امر لا يقدم فكرة نستفيد منها لمقاومة حالات الانتحار. فـ20 حالة بالناقص و20 بالزايد، لا تغير شيئا في الواقع.

■ هل تعتقد ان الارقام في لبنان اقل من الواقع، فبعض المجتمعات تعتبر ان الانتحار لا يزال وصمة اجتماعية ومن المحرمات، فلا يتم الاعلان عن كل الحالات؟

□ لا تقييم دقيقا لدي، لكن ما هو ثابت ان العدد اكبر مما يعلن عنه، وصحيح ان بعض العائلات ما زالت تعتبر الانتحار عيبا وعارا يلحق بها. هنا استحضر حادثا اليما، فقد فقدت احدى العائلات ابنا لها انتحارا، ورفضا للاعتراف بحالته اتهمت شخصا آخر بارتكاب الجريمة. بعد خمس سنوات اعلنت براءته اثر تشريح جثة المنتحر وظهور الحقيقة. فهل من الممكن ان يصل البعض الى اتهام شخص بريء بجريمة لم يرتكبها لانقاذ عائلة من عار ما. انه فعل حرام، وما علينا سوى تجاوز هذه العقلية وتغييرها، فليس من العيب ان يصل اي انسان الى لحظة الانتحار. انها عقلية رجعية، الانتحار ليس عيبا ولا عارا.

■ خبراء علم النفس الاجتماعي يتحدثون عن ظاهرة عدوى الانتحار. ما هو تفسيركم لها، وخصوصا عند تشبه المنتحر بحالات مماثلة ارتكبت في غير زمان ومكان؟

□ انها نظرية واقعية وصحيحة ولها ما يؤكدها في العالم. فهي قضية لا تتصل بواقعنا فحسب، وتدل على ما يسمى بعدوى الانتحار. ففي العام 1800 نشر الكاتب الالماني غوته كتابا روى فيه قصة انسان اغرم بحبيبته من طرف واحد فانتحر، وقد تسبب نشر هذا الكتاب الى تعدد الحالات التي قلدته.

■ هل يمكن القول ان المنتحر رجل ضعيف ام ان له صفة اخرى؟ وكيف يمكن بث الامل في نفوس المعرضين للانتحار؟

□ المنتحر ليس ضعيفا ابدا، لكنه قد يصل ◄

◄ الى هذه المرحلة عندما يفتقد كل السبل. للانسان كرامته وهي تعلو كثيرا على اي شيء آخر، فليس الفقر او الجوع سببا كافيا للانتحار ولا ضعف الماديات، بل الكرامة اساسية. هنا استذكر الشاب التونسي محمد البوعزيزي الذي اضرم النار في جسده عام 2010 امام مقر ولاية سيدي بوزيد احتجاجا على مصادرة السلطات البلدية عربة كان يبيع عليها الخضر والفواكه، وللتنديد برفض سلطات المحافظة قبول شكوى اراد تقديمها في حق شرطية صفعته وقالت له بالفرنسية "Dégage" اي ارحل. فاصبحت هذه الكلمة شعار الثورة للاطاحة بالرئيس التونسي، وكذلك شعارا رفعته الثورات العربية. ان الكرامة غالية ولا تتعلق بنوع العمل ايا يكن طالما انه مورد رزقنا. عند المس بالكرامة قد يأتي الانتحار ليضع حدا للحياة.

■ ما هي خطورة الاشارة الى ان حالات الانتحار الاخيرة في لبنان طالت من هم في اعمار تتراوح بين 16 و34 سنة؟

□ ليس لدي تفسير معين لهذه المقاربة، هذا هو عمر المراهقة وقد تكون لدى المراهق اسباب اضافية للانتحار. فصاحب هذا العمر وتحديدا ما بين 12 و18 عاما لم يعد ولدا صغيرا ولم يبلغ سن الرشد بعد، وهي حالة انتقالية بلا هوية، ويقال ان للمراهق حظا عاثرا وهو مستعد للانتحار اكثر من غيره.

■ علماء النفس يعولون على دور كبير للاعلام لزيادة الوعي عن الصحة النفسية، لاسيما عند التعامل مع هذه الحالات، وما يرافقها من وقائع مؤلمة احيانا. ما هي النصائح التي تقترحونها؟

□ اليقظة الاعلامية غير كافية للمواجهة،لكن التوعية على بعض المشاكل الاجتماعية ضرورية. فتعاطي المخدرات مثلا لا يؤدي الى الموت الا في حالات الجرعة الزائدة، وهي حالات لا تعتبر انتحارا. فالمتعاطي لا يريد الانتحار، لكنه يموت دون ان يطلب الموت ولا الانتحار، لذلك نسميه انتحارا ثانويا وليس اوليا. التوعية غير كافية ولا تغير شيئا في الواقع، فما نعيشه وطبيعة مجتمعنا جعلتنا في مرتبة تتدنى فيها حالات الانتحار قياسا بما تشهده دول اوروبا والاميركيتين، بحيث يفتقد مواطنيها الجو العائلي الذي نعيشه في لبنان. فالجيران هناك لا يعرفون بعضهم بعضا وان مات الجار قد لا يعرف جاره به، فيما نحن نفتح بيوتنا ونتقبل التعازي اذا فقدنا جارنا فهو لا يزال بالنسبة الينا من ابناء عائلتنا.